King Saud University College of Arts Journal of Arts ISSN (Paper):1018-3620 ISSN (Electronic):1658-8339



جامعة الملك سعود كلية الآداب مجلة الآداب ردمد (ورقي): ٣٦٢٠–١٠١٨ ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩–١٦٥٨

عِلة الآداب، مج (٣٤)، ع (٤)، ص ص ٤٧ - ١٦٤، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ) Journal of Arts, Vol. 34 (4), pp 147-164, © King Saud University, Riyadh (2022 /1443H.)

الاتجاه الأخلاقي في النقد النسائي العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري

محمد بن عبدالله منور آل مبارك

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية (قدم للنشر في ١٨/ ٦/ ١٤٤٣هـ)

الكلمات المفتاحية: النقد النسائي، النقد الأخلاقي، الاتجاه النقدي، النقد العربي.

ملخص البحث: يتناول هذا البحث دراسة النقد النسائي العربي القديم في اتجاهه الأخلاقي، فقد اتخذت المرأة العربية من القيم الأخلاقية أداة لنقد الشعر العربي القديم، مما شكل تياراً نقدياً حكمياً، بات جديراً بالجمع والدراسة والتحليل؛ للوقوف على سهاته وخصائصه الفنية، فلم يسبق -فيها يبدو - للدرس النقدي العربي المعاصر أن تناول هذا التيار النقدي الأخلاقي للمرأة العربية في دراسة خاصة به؛ لذلك حاول الباحث في هذا البحث الذي خصصه لدراسة النقد النسائي الأخلاقي للمعرفة العربي القديم حتى آخر القرن الثاني الهجري أن يجمع من مصادره الأدبية، وأن يعرّف به، ويدرسه، ويحلله تحليلاً يوضح أبرز سهاته وخصائصه الفنية.

The moral trend in Arab women's criticism Until the end of the second century AH

Mohammed bin Abdullah Munwer Al Mubarak

Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University, Saudi Arabia

(Received: 8/6/1443 H, Accepted for publication 11/9/1443 H)

Keywords: women's criticism, moral criticism, critical direction, Arab criticism.

Abstract. This research deals with the study of ancient Arab women's criticism in its ethical direction. Arab women have employed moral values as a tool for criticizing ancient Arab poetry, which formed a critical and judgmental trend that has become worthy of collection, study and analysis; in order to find out its technical characteristics and features. The contemporary Arabic criticism has rarely dealt with this moral critical current of Arab women in a substantive study. Therefore, in this study, which is devoted to the study of the moral feminine criticism of ancient Arabic poetry until the end of the second century AH, collecting it from its literary sources, defining it, studying it, and analyzing it in a way that determines its most prominent features and artistic characteristics.

موضوع البحث وأهميته

يتناول هذا البحث دراسة النقد النسائي العربي القديم في اتجاهه الأخلاقي؛ لا سيّما مع كون المرأة نفسها مادةً وموضوعًا للشعر العربي، يتناولها الشعراء في قصائدهم، وقد ترضى تارة عن صورتها في ذلك الشعر، وقد لا ترضى حينًا آخر عن تلك الصورة، فكان للمرأة وجهات نظر تجاه ما يقوله الشعراء من شعر في مختلف الأغراض الشعرية، أو شعر يصور فيه الشاعر علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة المرأة بالرجل خصوصا، وكانت غالبًا ما تواجه ذلك الشعر الواصف لعلاقتها بالرجل بخاصة وبالحياة بعامة بآرائها النقدية التي تحاول من خلالها تصحيح تلك الصورة، أو تعزيزها، أو إظهار ما فيها من جمال ترغب في ترسيخه، أو قبح ترغب في نفيه عنها، أو تعديله، وكان لطبيعتها الأنثوية وعادات المجتمع وتقاليده أثرهما في توجيه ذلك النقد نحو الجوانب الأخلاقية، ومن هنا تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع من النقد العربي، الذي أنتجته المرأة وحاولت توجيهه نحو الوجهة التصويرية والقيمية التي تراها وترتضيها.

أهداف البحث وأسباب اختياره

يهدف البحث إلى تحقيق غايات ومطالب نقدية نسائية يتوخّى إبرازها ودراستها دراسة فنيّة ومضمونيّة؛ لأجل إظهار مجهودات المرأة العربيّة، وإبرازها في نقدنا العربي القديم في جوانبه الأخلاقيّة لتي لها أثرها في قيمنا التي توجّه سلوكنا في المجتمع، كانت المرأة قد شاركت في إرسائها من خلال هذه المجهودات النقديّة، وبثّها في مناحي حياة المجتمع العربيّ من خلال البحث عنها في شعرنا العربيّ القديم، وإبرازها وغرسها في قيم المجتمع، والارتفاع بذوق الشعريّة العربيّة وشعرائها نحو تلك القيم الأخلاقيّة، والتعبير عنها في إبداعاتهم الشعريّة من أجل نشرها والتأثير بها في المجتمع العربيّ والحياة العربيّة، وكان من أسباب اختيار هذا البحث قلّة الدراسات الأدبيّة التي تناولت مجهودات المرأة العربيّة قلّة الدراسات الأدبيّة التي تناولت مجهودات المرأة العربيّة

النقديّة بعامّة والاتجاه القيميّ الأخلاقيّ من نقدها بخاصّة، ورغبة الباحث في الكشف عن مجهودات المرأة في هذا المنحنى من نقدنا العربيّ وإبرازه ودراسته دراسة فنيّة ومضمونيّة، تظهر آثاره في تطوير الشعريّة العربيّة، وفي سات المنجز النقديّ النسائيّ العربيّ وخصائصه الفنيّة.

مدونة البحث

تتوافر مصادر الأدب العربيّ القديم ومراجعه على مادة نقديّة غزيرة ومتنوّعة للمرأة العربيّة، تناولت فيها المرأة الناقدة الشعر العربيّ، وما يحمله ذلك الشعر من قيم فنيّة ومضمونيّة، حاول الشعراء بثّها في حياة المجتمع العربيّ وترسيخها في مناحي حيواتهم، مستعينين على ذلك بمهاراتهم الإبداعيّة، كما أن تلك المادة النقديّة تتوافر على مجموعة من المقولات النقديّة ذات المنحى القيميّ الأخلاقيّ تمثل قسمًا مهمًّا من المكوّن النقديّ العربيّ القديم الذي أبدعته المرأة العربيّة من خلال ذوقها النقديّ ورؤاها في الحياة.

وهذه المدونة النقديّة تحتاج إلى الكشف عنها، وتجليتها، ودراستها في جوانبها القيميّة والأخلاقيّة التي تطرحها المرأة من خلال نقدها، ومحاولة التعرّف على سهات ذلك النقد وخصائصه الفنيّة والمضمونيّة، ومن أبرز تلك المدوّنات النقديّة القديمة التي حوت نقد المرأة في اتجاهه القيميّ الأخلاقيّ: الموشّح للمرزبانيّ، وزهر الآداب وثمر الألباب للقيروانيّ الحصريّ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان، والأغاني لأبي الفرج الأصبهانيّ، ومصارع العشّاق للقارئ، والمجموع اللفيف للأفطس، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والأمالي والنوادر للقالي، وأخبار الظرفاء والمتهاجنين لابن الجوزيّ، وغيرها من المصادر التي حوت مقولات المرأة النقديّة.

الأسئلة التي يطرحها البحث

يحاول البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة المعرفيّة التي تطرحها مقتضيات البحث ومنها:

- ١- هل تتوافر مصادر الأدب العربي ومراجعه على مادة نقدية ذات قيمة فنية للمرأة العربية؟
- ٢ ما نصيب القيم الخُلقيّة من تلك المادة النقديّة النسائيّة
 في مصادرها العربيّة القديمة؟
- ٣ كيف شكّلت المرأة مقولاتها النقديّة الأخلاقيّة للشعر
 العربيّ القديم؟
- ٤_ ما أبرز القيم الأخلاقية التي حاولت الناقدة العربية
 تثبيتها وترسيخها من خلال مجهوداتها النقدية
 الأدسة؟
- ٦- ما أثر المجتمع العربي وعاداته وتقاليده في بروز مثل ذلك الاتجاه النقدي الأخلاقي في النقد النسائي العربي للشعر في أدبنا العربي القديم؟

مشكلة البحث وفرضيته

تظهر مشكلة البحث في تمحور الدراسات النقديّة للدارسين العرب حول مجهودات النقاد العرب الرجال والانشغال بها دون التعرض للناقدات العربيّات، وخصوصًا في تاريخ نقدنا العربيّ القديم، وتتجلّى هذه المشكلة في تلك الدراسة القديرة التي قام بها الدكتور محمد المريسيّ الحارثيّ عن الاتجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ (الحارثيّ، ١٩٨٩)، وقصر حديثه على نقد الرجال دون النساء، ولم يذكر على مدى الكتاب سوى موقف نقديّ واحد للناقدة شُكينة بنت الحسين في إشارة بعيدة دون الوقوف عندها ودراستها أو تحليلها على الرغم من توافر المدونات العربيّة النقديّة القديمة على عدد لا بأس به من مقولات الناقدات العربيّات للشعر، وعلى عدد من المقولات النقديّة النسائيّة في الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ، فإنَّ خلوَّ مثل هذا المؤلَّف القدير من نقد المرأة في هذا الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ ليعد مشكلة علميّة توحى بفقر المرأة النقديّ في هذا الاتّجاه، وهذه مشكلة تدعو الحاجة إلى التصدّى لها بالكشف عن ما يجلّيها ويطرح الدراسة العلميّة والمعرفيّة لها؛ ولذلك فإنَّ هذا البحث يفترض أن هناك منجَزًا

نقديًّا نسائيًّا يجسّد هذا الاتّجاه النقديَّ الأخلاقيّ، ويجسّد سهاته وخصائصه الفنيّة، وهو بحاجة لتجليته ودراسته دراسة فنيّة ومضمونيّة، توضح مقداره، وقيمته الفنية، وإبراز سهاته، وخصائصه بين اتجاهات النقد العربيّ بعامّة، واتجاهات النقد النسائيّ العربيّ منه بخاصّة.

الدراسات السابقة

لقد تبيّن من خلال هذا البحث قلّة الدراسات التي تصدّت للنقد النسائيّ العربيّ بعامّة، والاتّجاه الأخلاقيّ من ذلك النقد النسائيّ بخاصّة، وأنّ هناك مجهودات نقديّة نسائيّة ذات أبعاد قيميّة وأخلاقيّة تتوافر عليها مدوّنات الأدب العربيّ القديمة لكنها مع ذلك لم تلقّ من الاهتمام ما يتناولها، ويدرسها، ويبرزها، ويجلّيها؛ لتكون في متناول الدارس والقارئ للنقد العربيّ، ومما يزيد الاهتمام بمثل هذه الدراسة أن هناك دراسة علميّة قيّمة تصدّت للاتّجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ القديم (السابق نفسه) لكنّها قصرت حديثها على مجهودات النقاد الرجال من هذا الاتّجاه دون مجهودات النساء النقديّة، وهذا يوحى بأن لا نقد نسائيّ في هذا الاتّجاه من نقدنا العربيّ، أو إن كان هناك من نقد فهو لا يرقى إلى مستوى الاهتمام به، ودراسته، وإبرازه، لكن المطّلع على المدوّنات النقديّة العربيّة التي توجّهت إليها في هذا البحث سوف يدرك مقدار ما تحويه تلك المدوّنات من مجهو دات نقديّة نسائيّة ذات قيمة علميّة، وتتوافر على جانب مهم من النقد النسائيّ في اتجاهه الأخلاقيّ، الذي هو محطّ نظر وعناية هذا البحث، ولم يسبق الكشف عنه وإبرازه ودراسته.

إن هناك عددًا من المقالات والأبحاث العلميّة تناولت جوانب من النقد النسائيّ العربيّ في اتّجاهات متعدّدة ليس منها ما خُصّص لدراسة الاتّجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ، ومن تلك الدراسات:

١- جهود المرأة العربيّة في النقد الأدبيّ القديم، فاطمة الصغير، مجلة المخبر، العدد (١١) ص٣٨٣، جامعة

بسكرة بالجزائر. وهو بحث يتناول عموم نقد المرأة العربيّة وليس مخصّصًا لنقد المرأة في اتّجاهه الأخلاقيّ الذي سوف يعنى به هذا البحث ويدرسه ويتعمّق فيه من جميع جوانبه الفنيّة والمضمونيّة.

٢- المرأة الناقدة في الأدب العربيّ، محمد أحمد المجالي، مجلّة جامعة أمّ القرى، المجلّد الخاصّ، العدد (٢٠). وهو بحث يتناول أيضًا عموم نقد المرأة عبر العصور الأدبيّة القديمة والحديثة، وهو يقلّل من وجود نقد للمرأة في مراحل ما قبل منتصف القرن العشرين؛ ولذلك ركّز اهتهامه على نقد المرأة في العصر الحديث. أمّا بحثي هذا فسوف يتناول قضيةً واحدةً من قضايا نقد المرأة العربيّة القديم، وهي نقدها القديم في الجاهه الأخلاقيّ، ويتعمّقها دون سواها من اتّجاهات المرأة النقديمة أو الحديث.

٣ المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربيّ القديم قراءة لنصوص النقد المنسوبة إلى سُكينة بنت الحسين، للباحثة سعاد المانع، طبعة نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ، وهو بحث يتناول مجهودات ناقدة واحدة من الناقدات العربيّات، هي سُكينة بنت الحسين دون سواها من الناقدات العربيّات، ويتناول عموم أعمالها بشكل عام دون تعمّق في جانب محدّد من جوانب نقدها كما هي دراستي هذه، التي ستركّز اهتمامها على دراسة الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ عند عموم الناقدات العربيّات؛ للوقوف على سات وخصائص هذا العربيّات؛ للوقوف على سات وخصائص هذا الاتّجاه النقديّ النسائيّ دون سواه من الاتّجاهات النقديّة الأخرى التي طرقتها الناقدة شكينة.

٤ ـ الاتجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ حتى نهاية القرن السابع الهجريّ، محمد المريسيّ الحارثيّ، مطبوعات نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ (١٤٠٩ – ١٩٨٩). وبعد الاطّلاع على هذا الكتاب وجدته يكاد يخلو من نقد المرأة سوى مثال واحد، ذكره للناقدة سُكينة بنت

الحسين، واقتصر في تناوله ودراسته للنقد الأخلاقي على مجهودات النقاد من الرجال دون النساء؛ لذلك وجدت أن نقد المرأة في اتّجاهه الأخلاقيّ لمّا يزل بحاجة إلى دراسة تجلّيه وتدرس سهاته وخصائصه الفنيّة والمضمونيّة، وتبرز مكانته من النقد العربي بعامّة ونقد المرأة بخاصّة.

إنّ هذه الدراسات السابقة لها فضل في التنبيه إلى حاجة الجانب الأخلاقي من النقد النسائيّ العربيّ للدراسة؛ للوقوف على سهاته، وخصائصه، ومكانته من مجهودات المرأة العربيّة النقديّة، ولذلك توجّهت في بحثي هذا للعناية بهذا الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ من نقد المرأة العربيّة لسدّ الثغرة التي تحتاج إلى سدّها من مشروع نقد المرأة العربيّة القديم.

منهج البحث

إنَّ هذا البحث يُعنى بدراسة نقد المرأة للشعر العربيّ القديم في اتجاهه النقديّ الأخلاقيّ؛ لذلك سوف أعتمد في دراسته على المنهج الاستقرائيّ الذي يحاول أن يصل إلى ما يستطيع الوصول إليه من مقولات المرأة النقديّة في القرون الثلاثة الأولى من عمر النقد العربيّ حتى آخر القرن الثانيّ المهجريّ وتتبُّع تلك المقولات في مظامّها من كتب الأدب العربيّ القديمة، ودراستها، وتحليلها، معتمدًا على المنهج الوصفيّ التحليليّ لاستخراج سات ذلك الاتجاه النقديّ وخصائصه الفنيّة.

التمهيد: عن الشعر والأخلاق

لا نكاد ننكر أن الخطاب النقديّ القديم قد منح الشاعر الحريّة في القول الشعريّ، وأنّ تلك الحريّة قد حاولت أن تزيل من أمام الشاعر السدود والعقبات التي قد تحدُّ من فحولته الشعريّة وإبداعه الفنيّ، وتبسط الطريق أمامه من أجل الوصول بشعره إلى غايته من التأثير في النفوس، وعلى الرغم من تحاشى الشعراء بعض المضامين التي كانوا يطرقونها

في الجاهليّة بعد استقرار الإسلام في قلوبهم؛ لأنّ الإسلام كان قد نهى عن كثير من المضامين التي لها علاقة بفحش القول، فإنّ الحال من الحريّة التي كان ينشدها الشاعر قبل ذلك عادت لدى الشعراء ونقّاد الشعر في العصور التي تلت ما بعد نزول الإسلام واستقراره في النفوس.

ولقد تجاوز النقّاد للشاعر ما لا يتجاوزونه لسواه من الأدباء باعتبار أن عالمه "الخيال" وسرّ صنعته "المبالغة" للوصول بالقول إلى غايته من التأثير، فرأينا الأصمعيّ يطلق مقولته المشهورة في شعر حسّان بن ثابت -رضي الله عنه-بأنّ موضوعات الصلاح والتقوى التي طرقها حسّان في شعره بعد الإسلام قد ألانت من شعره، وردّ ذلك إلى طريق الشعر الذي إذا أدخلته في باب الخير لان (المرزبانيّ، ١٩٩٥، ص٧٧)، وفي رواية أنّه قال: "الشعر نكد بابه الشرّ فإذا أدخل في الخير ضعف" (ابن قتيبة، ١٩٥٨م، ج١ ص٣٠٥).

أما الناقد القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ فقد قضى بها يفيد ببعد الأخلاق عن الشعر، وبأنّ فساد مضامين الشعر لا تُنقص من الحكم لقائلها بالجودة إن كان مجوّدا، وأنَّ الدين الذي هو جماع الأخلاق - بمعزلٍ عن شعريّة الشعر جودةً ورداءة (الجرجانيّ، د.ت، ص٣٦ - ٦٤)، وعزل ابن أبي عتيق ناقد الحجاز في القرن الأوّل الهجريّ الدين عن الشعر باستحسانه شعر عمر بن أبي ربيعة، وقدّمه على معاصريه على الرغم من قوله فيه: "ما عُصي الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا ومني بشعر ابن أبي ربيعة (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص عصي بشعر ابن أبي ربيعة (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص ١٩٠٨ - ١٠٩؛ وانظر: إسماعيل، ١٩٧٤م)، ولم يتحرّج أبو هلال العسكريّ من القول بأنّ: أكثر الشعر بُني على الكذب... والألفاظ الكاذبة، كما حكم بقوّة الشعر الجاهليّ وفحولته على ما فيه - كما يقول - من قذف للمحصنات وشهادة الزور والبهتان (العسكريّ، ١٩٥٢، ص ص ١٣٥٠)

وقد تغاضى النقّاد العرب عن مبالغات الشعراء، وكذبهم في شعرهم، وتجاوزهم لقيود الأخلاق، وجعلوا من فضائل

الشعر الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه، وقطعوا بأن الكذب يحسّن من الشعر، وقال ابن رشيق عن الشعر في عمدته: وحسبك ما حسن واغتفر له قبحه (القيرواني، ١٩٨٣، ج١ ص١٧)، وعدَّ الفلاسفة أن مهمَّة الشاعر تحسين الكلام وتجويده ولو كذب في شعره، فقد قيل لبعضهم: فلان يكذب في شعره فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء (العسكريّ، ١٩٥٢م، ص١٣٧).

واستجاد ابن طباطبا أبياتًا في وصف الشعراء للخمر وقال فيها بأنها "من أبدع ما قيل في هذا وأحسنه" (ابن طباطبا، ١٩٨٥م، ص١٢٦)، دون الوقوف عند خروجها على الدين والأخلاق، أو النظر في مدى موافقتها لمعاني الأخلاق والحلال والحرام.

ونادى قدامة بن جعفر بحريّة الشاعر في القول فيما يريد من المعاني، وأن المعاني معرّضة له، يتكلّم فيها فيما أحب وآثر من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، وأن الغاية من الشاعر التجويد إذا شرع في أيّ معنى –كان – من المعاني الحميدة أو الذميمة، ونفى أن يكون فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعريّة (ابن جعفر، د. ت، ص ص ٦٥ - ٢٦؟ وانظر: العزب ١٩٨٤، ج٢، ص ص ١٢٦ –١٢٧).

هكذا نرى أن الخطاب النقديّ القديم لم يربط جمال الشعر وجودته بمدى التزامه بأخلاق القوم ودينهم، ولم يربط قبيح الشعر بمقدار فساد مضامينه ومخالفته للدين، لكن تيّارًا نقديًّا تشكّل بعد الإسلام خصوصًا وتطوّر في مطالبة الشاعر الالتزام بالقيم الخلقيّة وعدم مخالفته في مضامينه لمبادئ الدين وتعاليمه.

وقد بدأ هذا التيار يتشكّل في مقولات الرسول على وصحابته رضوان الله عليهم في الشعر والشعراء، حيث قرَّر على أن الشعر كلام مؤلَّف فها وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحقّ منه فلا خير فيه (الحصريّ، ج١ ص٢٠).

وأنكر على على النابغة الجعديّ مبالغته في الشعر، وأُعجب بشعره على حين وافق الدين والأخلاق، وحكم له

فيه بالتجويد، وكان النابغة قد أشاد في شعرِ له بالقيم الأخلاقيّة المطلوب التحلّي بها، والبعد عن خصال الشر (الأصبهانيّ، د.ت، ج٥ ص٨)، وسارت عائشة -رضي الله عنها- على هذا الاتِّجاه الأخلاقيّ في التعامل مع الشعراء فقالت: الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح (القيروانيّ، العمدة، ج١ ص٢٠)، "وحثُّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عمّاله على أن يعلّموا الناس الشعر: "فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرأي" (القيروانيّ، العمدة، ج١ ص٢١)، وتطوّر هذا التيّار النقديّ في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، حتى إنَّ بعض العلماء كانوا يزنون الشعر بميزان الدين والأخلاق -كما يقول أحمد أمين-فيسمون بعض الشعراء بشعراء المؤمنين وآخرين بشعراء الكافرين (أمين، ٢٠١٢، ص٧١١)، ونرى القرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن يحتّ على إنشاد ما فيه المعاني الحسنة من الشعر، وذكر الله، والحمد له، والثناء عليه، وتجنّب الأشعار التي تزيّن الباطل، وتبهت البريء، رغبة في التسلية للنفس، وجعلها من المذمومة (انظر: القرطبي، د. ت، ج٣ ص ص ۱٤٥ – ۱٤٩).

المرأة والشعر والأخلاق

ومهما يكن من أمر اختلاف النقّاد حول الشعر والشعراء، فإن المرأة العربيّة الناقدة في تعاملها مع الشعر والشعراء، ونقدها للشعر، قد صدرت عن مختلف الاتّجاهات النقديّة التي دارت حول الشعر، وعبّرت عنها في مقولاتها النقديّة، كما هو حال النقّاد الرجال مع الشعر، ومواقفهم المختلفة من مضامينه، ولكنّ المرأة كانت أكثر تأثّرًا بجنسها (الجندريّ) الأنثويّ الأقرب إلى الالتزام بالعادات والتقاليد المجتمعيّة، وما يسودها من قيم وأخلاقيات، وخصوصًا في علاقتها بالرجل.

ثم جاء الإسلام فزادها قربًا من المحافظة على تلك القيم والأخلاقيّات بجانب مراعاتها للاتّجاهات النقديّة الأخرى،

التي تصدر عن ذوق نقديّ، يرقى إلى مكانة الشعر والشعراء في تلك العصور، ولقد رأينا الشعراء يعطون أهميّة لرأي المرأة الناقدة فيها يقولونه من شعر، حتى إنّهم يقصدونها محكّمين لها في أشعارهم، راضين بها تصدره من أحكام نقديّة في شعرهم في أغلب الأحيان (انظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٥٦٥- قي أغلب الأحيان (انظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٥٦٥- ٣٦٠. وانظر: المرزبانيّ،٩٩٥ م، ص٩٦٦- ٢٠٠١).

ومع ذلك فقد كانت المرأة في نقدها تصدر في كثير من مواقفها النقدية عن القيم الخلقية، التي سادت ذلك المجتمع العربيّ الذي نشأت فيه، وفي ظلّ عاداته وتقاليده العربيّة، التي كانت تحرص على صون المرأة قبل الإسلام، ثم في ظلّ القيم والتقاليد التي جاء بها الإسلام ورسّخها في المجتمع بتعاليمه الدينيّة وقوانينه الحياتيّة الجديدة، فنشأ تيّار نقديّ أخلاقيّ في مقولات نقّاد صدر الإسلام بعامّة وفي مقولات المرأة النقديّة من آكد اتّجاهات المرأة النقديّة وأبرزها على الرغم من أنّه قد من آكد اتّجاهات المرأة النقديّة وأبرزها على الرغم من أنّه قد تغيّر في العصر الأمويّ، وكانت غالبًا ما توجّه به الشعر والشعراء في نقدها، وشكّل تيارًا نقديًّا نسائيًّا ينطلق من القيم الأخلاقيّة الأخلاقيّة التي رسخت في أعهاق المرأة العربيّة الناقدة، وكوّن شخصيتها العربية الإسلاميّة، التي أبدعت تلك المقولات النقديّة النسائيّة الأخلاقيّة.

ولمّا كان شعر الغزل يصف علاقة الرجل بالمرأة، فقد اهتمت المرأة العربيّة الناقدة بهذا الفن الشعريّ الذي يمسّ حياتها، ويصف جوانب منها توضح علاقتها بالرجل؛ لذلك وجّهت جانبًا من نقدها –وهو جلّه– اتجاه ذلك الشعر الواصف لتلك العلاقة.

ولقد واجهت المرأة صعوبة في محاكمتها لشعر الرجل فيها، فمقاييس التجويد في الشعر كها رأيناها عند كبار النقّاد لا تخضع لقيم الدين والأخلاق (الجرجانيّ، د.ت، ص٦٤)، ولشعر الغزل -كها يقول إحسان عباس- مقاييسه الخاصّة به بعيدًا عن القيم الأخلاقيّة (عباس، ٢٠٠٠م، ج٣ ص٢١٠)،

فلا يدخلون الدين وما يقتضيه من أخلاق فيها يقوله الشعراء من شعر، ولذلك أنكر ابن أبي عتيق على كثيّر عزّة قوله عن محبوبته (الخزاعيّ، ١٣٩١ه، ص١٧٢):

فأخلفنَ ميعادي وخنَّ أمانتي وليس لمن خانَ الأمانة دينُ فقال له ابن أبي عتيق منكرًا عليه أن أدخل الدين والأخلاق في الغزل: "يا بن أبي جمعة، وعلى الديانة تبعتها" (المرزبانيّ، ١٩٩٥، ص ١٨٣).

فهو هنا ينقده نقدًا يدعوه فيه إلى أن يبعد شعره، وبخاصة شعر الغزل منه عن الدين والأخلاق، وكأنّه يقول له: لا تحمّل الدين الذي هو جماع الخلق الفاضل مهمّة البحث عن الجمال التعبيريّ في الغزل، وارتضى ابن أبي عتيق من كثيّر قوله (الخزاعيّ، ١٣٩١ه، ص١٧٣):

كذبن صفاء الودّ يوم شنوكة وأدركني من عهدهن رهون فقال له: "يا بن أبي جمعة فذلك والله أصلح لهن وأدعى للقلوب إليهن" (المرزبانيّ، ١٩٩٥م، ص١٩٨٠)؛ لأنّ فيه اتّباع النساء لما تقتضيه الأخلاق القمينة بالمرأة، من عدم الانجرار والتهادي من قبلها لإغراءات الغزل، وهي المشهورة بخلق الإباء والتمنّع.

وقد اشتهر كثيّر بشيء من الأخلاق في شعره الذي كان يتغزّل به في عزّة؛ ولذلك ذهب إحسان عباس إلى أن غزل كثيّر كان غزلًا أخلاقيّا؛ لأنَّ نظراته ومواقفة ينتظمها - كما يقول - مقياس أخلاقيّ لا يحبّ أن يختل، فهو يجعل من الحبيبة رمزًا أخلاقيّا، ومن الحبّ علاقة أخلاقيّة، ويخضع نزعات النفس للعرف الأخلاقيّ (الخزاعيّ، ٢٠١٢م، ص٢٦).

اتّجاهات النقد النسائيّ الأخلاقيّ

ولمّا كان غزل كثير عزة غزلًا أخلاقيّا، جاء نقد الناقدات له نقدًا أخلاقيًّا أيضا، فلطالما تعرَّض كثيّر للتقليل من شأنه في الغزل، ووصفه للمرأة في شعره، من الناقدات أمثال شكينة بنت الحسين، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وعائشة بنت

طلحة، وهنّ ممن اشتهرن بنقد الشعر، ومثّلن بنقدهنّ جانبًا مهمًّا من الخطاب النقديّ النسائيّ القديم، وإذا كانت المرأة قد اشتهرت في الحياة العربيّة الاجتماعيّة بالحياء، والتمنّع في حضرة الرجل وفي علاقتها به، وكذلك في حبّها وتعبيرها عن ذلك الحبّ، فإنّها في نقدها للشعر - الذي عبّر عن تلك العلاقة - قد حاولت في اتّجاه من اتّجاهاتها النقديّة أن تردّ الشعر الذي يهارس فيه الشعراء شيئًا من التجاوزات إلى القيم الخُلقيّة، فحاكمت الناقدات العربيّات الشعر بناءً على قربه أو بعده عن الأخلاق التي رسّختها العادات والتقاليد العربيّة والتعاليم الدينيّة الإسلاميّة، وقد ساعدت المرأة بنقدها منذ بدايات النقد العربيّ في بروز هذا التيار النقديّ الأخلاقيّ، وفي تشكَّله وحضوره، وخصوصًا في نقدها لشعر الرجل الواصف لها، والذي كانت هي مادّته، فإذا كان ممّا هو مقرر في المجتمع العربيّ أن المرأة العربيّة تتّسم بالحياء والتمنّع في حضرة الرجل في علاقتها به، وفي حبّها وتعبيرها عن هذا الحبّ فإن خطابها النقديّ القديم اتّسم في إحدى اتّجاهاته بالأبعاد القيميّة الأخلاقيّة، فحين أنكرت على الشعراء الذين كانوا يصفون المرأة وصفًا يخالف هذه السمة الخُلقية التي اتَّسمت بها المرأة في مجتمعها، ورأينا بثينة صاحبة جميل تنكر على عمر بن أبي ربيعة وصفه النساء بأنَّهنَّ كنَّ يسعين إليه للتشبيب بهنّ والتغزّل فيهنّ، فأنكرت عليه إخلاله بمقاييس الطبيعة والأعراف الاجتماعية العربية والتعاليم الدينية الإسلاميّة حين جعل النساء يخرجن عن أخلاقهنّ المعروفة عنهنّ من إباء وتمنّع وإظهار الدلال بحضرة الرجل إلى السعى وراءه والظفر به وطلب ودّه، والفوز باهتهاماته اتجاههنّ، وهي تشير إلى قوله على لسان بعض معشوقاته (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص ١٨١، وانظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٩٠، (10, 70, 70, 1, 301):

تَصَابَى القلبُ وادَّكَرا صِبَاهُ ولم يكن ظَهرا لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكن كَدِرا أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لها ظهرا أشِيري بالسَّلام له إذا هُوَ نحونا نظرا

وإلى قوله: (ابن أبي ربيعة، ١٦١، ٥٠ ص ١٦٠-١٦١، وانظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٢، ١٠٤):

أبصرتُها ليلةً ونِسْوَتَها يَمْشين بين المَقَامِ والحَجَرِ قالت لتربِ لها ملاطفة لنُفْسِدَن الطَّوَافَ في عُمر قالت تَصَدَّيْ له ليبصرنا ثم اغمِزيه يا أُخت في خَفَرِ قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسْبَطرَّتْ تسعَى على أَثري ونقدت قوله هذا بقولها له "والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك" (الأصبهاني، د.ت، ج٨ ص١٤٤)، فذكّرها عمر بقول لصاحبها جميل يذكر تطلّع بعض النسوة نحوه (الأصبهاني، د.ت، ج٨ ص

وهما قالتا لو ان جميلًا عرضَ اليومَ نظرةً فرآنا بينها ذاك منهما وإذا بي أعمل النّصّ سيرة زفيانا نظرت نحو تربها ثم قالت قد أتانا - وما علمنا - منانا فردّت عليه بثينة ناقدةً قول جميل هذا بقولها: "إنه استملّ منك فها أفلح وقد قيل: اربط الحهار مع الفرس، فإن لم يتعلّم من جريه تعلّم من خلقه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج٨ ص

فنرى بثينة تنقد كلًّا من عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر نقدًا أخلاقيًّا تنعي فيه عليها مخالفتها في شعرهما أخلاق المرأة التي عرفت بها في علاقتها بالرجل القائمة على الحياء والحشمة والإباء والتمنّع والدلال اتّجاه الذكر، وترى في شعرهما خروجًا بالأنثى عن الأخلاقيّات التي عرفت بها في المجتمع، وطبيعة العلاقة المعهودة بها في علاقتها بالرجل، وتنعي على جميل تأثّره في تلك الصورة للمرأة في علاقتها بالرجل بالرجل بعمر بن أبي ربيعة.

ويعد عمر بن أبي ربيعة من أكثر الشعراء الذين تعرّض شعرهم لنقد المرأة العربيّة الأخلاقيّ؛ وذلك لجرأته على الفحش بالمرأة في غزله، ووصفها وصفًا حسيًّا في غزله، والخروج بها عن طبيعة أخلاق الأنثى، فقد نقدته فاطمة بنت

عبد الملك بن مروان في قوله (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص ٩١ – ٩١):

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي لأُنبَّهن الحيَّ إن لَم تَخُرْج فخرجتُ خَوْفَ يمينِها فتبسَّمَتْ فعلِمتُ أن يمينَها لَم تَحُرَج فتناولتْ رأسي لِتعرف مَسَّه بَمُخَضَّبِ الأطراف غير مُشَنَّج فتناولتْ رأسي لِتعرف مَسَّه بَمُخَضَّبِ الأطراف غير مُشَنَّج فلتمْتُ فاها آخِذًا بقُرونِها شُرْبَ النَّزِيف ببَرُد ماء الحَشْرَج وفي قوله (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص ١١٦):

ونَاهِدَةِ الثَدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي على الرمل من جَبَّانةٍ لم تَوَسَّدِ

فقالتْ على اسم الله أمرُك طاعةٌ وإن كنتُ قد كُلِّفتُ ما لَم أُعَوَّدِ فلا دنا الإصباحُ قالَت فضحتني فُقْم غيرَ مطرودٍ وإن شئتَ فازكدِ فنقدته بقولها: "إنه فاضح الحرائر"، وكان قد لقيها في منى وهي حاجّة، وناشدته الله والرحم بأن لا يصحبها ولا يفضحها، وأخرجته من مجلسها، وهدّدته بأنّ الخليفة وواليه الحجّاج قد أهدرا دمه إن تعرّض لها أثناء حجّها (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ١٩٠-١٩٥).

ونقدت عمر كذلك امرأة بمقولة "الفاضح" هذه، وكانت قد حذّرت هذه المرأة امرأة أخرى معها تسمى النوار، كان عمر يتنبّعها من مزدلفة حتى منى؛ ليظفر برؤيتها ومحادثتها فقالت لها: "يا نوار استتري لا يفضحك عمر بن أبي ربيعة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص١٥٨ – ١٥٩).

وهذا يوضح لنا كيف أنَّ شعر عمر بن أبي ربيعة _من خلال محاكمة المرأة العربيّة الناقدة له_قد سكَّ ونحت بعض المقولات النقديّة ذات الدلالات الأخلاقيّة عندما وصفت الناقدات شعره بـ "فاضح الحرائر" إنها مقولة نقديّة نسائيّة تشي بحكم نقديّ تميّزت به الناقدة العربيّة في خطابها النقديّ الأخلاقيّ.

ووصفت جارية شعر عمر بالفسوق حين نعتت عمر في شعره بـ"الفاسق" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٢٠٥)، ومن معاني الفسوق الخروج وكأمّها تقصد أن شعر عمر فيه خروج عن الأخلاق الفاضلة، فقد لمحت الناقدة الجوانب الأخلاقيّة في شعر عمر وتجاوزه لها وخروجه عليها.

ووصفت عجوز كان عمر قد تغزّل بها في شبابها سيرة عمر الشعريّة وسلوكه في شعره "بالمجون والسفه لما فيه من مخالفات للأخلاق مع كبر سنّه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص١٧١).

وكانت عائشة بنت طلحة قد نعتت عمر كذلك في شعره "بالفسوق" وكان قد وصفها وهي سافرة وجهها ترمي الحجارة في منى، فقال فيها (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص٤٦):

فَلَقِيتُها تَمَثِيي بها بغلاتها ترمِي الجِهَار عَشيَّةً في مَوْكِبِ غَرَّاءَ يُعْشِى الناظرين بياضُها حَوْرَاءَ في غُلَوَاءِ عيش مُعْجِب فقالت له ناقدة مقولته الشعريّة هذه "أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص١٩٩-٢٠١)، لأن عمر في شعره هذا الذي يصفها فيه وهي في مكان وزمان مقدّسين قد تجاوز في تقديرها لتلك القدسيّة وجرح حرمتي المكان (مناسك الحج) والزمان (أيّام الحج)، وفي ذلك ما فيه من خروج على مقتضيات الدين من الأخلاق، وهتك للحرمات، والتشهير بمفاتن ترى الناقدة وجوب سترها حياءً ودينا، فقد لحظت الناقدة في مقولتها النقديّة الجوانب الأخلاقيّة والدينيّة، وللمنحى النقديّ السابق نفسه وصفت الناقدة عائشة بنت طلحة كذلك عمر في شعره بقَوْل الهجر، وتجاوز ما ينبغي التحلّي به من الأخلاق في شعره من تقوى الله، والأخذ بمحاسن الأخلاق، عندما قالت له ناقدة ما عهدته في شعره من محاذير دينيّة وأخلاقيّة، ومحذّرة له من أن يقول فيها شعرًا -وكان قد بصر بها وهي تطوف بالكعبة كاشفة من محاسنها ما ينبغى كشفه للمحرم "اتق الله -يا عمر- ولا تقل هجرا، فإنَّ هذا المقام لا بدّ فيه ممّا رأيت" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص٢٠٠-٢٠١).

أما الناقدة كلثم بنت سعد المخزوميّة فقد عبّرت عن رفضها لشعر عمر بن أبي ربيعة لما فيه من مخالفات أخلاقيّة بضربها جارية لها، وزجرها، وحلقها لشعرها، وكان عمر قد

أرسلها إليها يستعطفها، وينشد حبّها ومودّتها، وكان قد قال فيها (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص ٣٥١-٣٥٢):

من عاشق صَبِّ يُسِرُّ الهوى قد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ رَاتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى إليكِ للحين ولم أعْلَمِ قَتَلَتِنا يا حبَّذا أنتُم في غير ما جُرْمٍ ولا مَأْثَمِ وأنتِ ثأْرِي فَتَلافِي دَمِي ثم اجعليه نعمةً تُنْعِمِي وحَكِّمي عَدْلًا يكُنْ بيننا أو أنتِ فيا بيننا فاحْكُمِي وجالِسيني مجَلِسًا واحدًا من غير ما عارٍ ولا محرُم ونقدته بقولها واصفة شعره هذا فيها "بأنه خدّاع ملق،

ونفدنه بقوها واصفه شعره هذا فيها بانه خداع ملق، وليس لما شكاه أصل" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص٤٠٠-٢٠٥)، بمعنى أنّه في شعره يتّصف بالخداع والكذب وتجاوز الحق والعدل إلى الظلم، إنّه نقد لتجاوز الشاعر القيم الأخلاقيّة في شعره، فقد حطّت من شعره لمخالفته الحقيقة، والصدق، وما ينشده أيّ شاعر في شعره من قيم الخير والحق والعدل والجمال.

كما وصفت الناقدة نفسها شعرًا لعمر كذلك قاله فيها "بالفسوق والفاضح" (ابن أبي ربيعة، ١٤١٦ه، ص ٧٧، والأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص١٠٦ -١٠٧) حيث يقول فيها: هلاً اسْتَحيْتِ فتَرْجَمِي صَبًّا صَدْيَانَ لم تَدَعى له قَلْبَا جَشِمَ الزيارةَ في مودّتكم وأراد ألا تُرْهَقِي ذَنْبَا ورَجَا مُصَالِحَةً فكان لكم سَلْمًا وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبَا يا أيها المُعْطِي مودّته مَنْ لا يَرَاك مُسامِيًا خطبًا لا تَجْعَلَنْ أحدًا عليك إذا أحببته وهويته رَبًّا وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفَتْ به واطوِ الزيارةَ دونَه غِبًّا فَلَذَاكَ أحسنُ من مُوَاظَبَةٍ ليستْ تَزِيدُكَ عنده قُرْبَا لا بل يَملُّكَ عند دَعْوته فيقولُ هَاهِ وطَالــَما لبَّى ونقدت الثريّا بنت علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر معشوقة عمر بن أبي ربيعة شعره الذي وصف به جمال شريكتها في حبّه رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعيّة، وكان عمر يهواها كذلك حيث قال فيها (ابن أبي ربيعة، ۲۱۶۱۱، ص ۷۸۷،۲۸۷ ، ۳۹۸):

وجَلا بُرْدها وقد حَسَرتْه نُورَ بدر يُضيء للناظرينَا

أَصْبَحَ القلبُ في الجِبال رَهِينَا مُقْصَدًا يومَ فارَقَ الظَّاعنِينَا قلتُ مَنْ أَنتُمُ فَصَدَّتْ وقالتْ أَمُبِذٌ سؤالَك العَالَمِينَا نحن من ساكني العِرَاق وكُنَّا قبلَه قاطنين مكة حِينًا قد صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلتَ فَمِن أَنتَ عَسَى أَن يَجُرٌ شَأَنٌ شُؤُونَا فنقدته الثريّا في شعره هذا: "بالكذب والوقاحة والتصنّع وقبّحت شعره هذا" (الأصبهاني، د.ت، ج١ ص ص٢١٦-٢٢٠)، وهذه مقولات نقديّة ذات أبعاد أخلاقيّة تتنافى والصدق والحياء والطبع ومن ثُمَّ جودة الشعر وحسنه في تقدير الناقدة، فقد وصف عمر بالجميل ما لا تراه الناقدة جميلا، وتظاهر بقول الحقّ في وصفه وترى الناقدة أنّه بعيد كل البعد عن الصدق في وصفه، ولذلك قالت ناقدة له: "ما أكذبه! أو تُرفع حسناء بصفته لها بعد رملة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٢٢٠)، تقصد بعد شعره هذا في رملة، لأنّه شعرٌ في تقديرها خارج عن قيم الصدق والحقيقة، لأنّه يحمل القبح، وكأنَّها ترى أنَّه لا خير في شعر، ولا جمال فيه إن خالف الصدق وقيمه الأخلاقيّة، والثريّا في تقديري لا يؤخذ بقولها في نقدها لوصف عمر بن أبي ربيعة لرملة الخزاعيّة لغيرتها منها، فكلتاهما من معشوقات عمر، وكلتاهما تغزّل فيهما عمر بشعره، والثريّا عندما أطلقت هذا النقد لشعر عمر، المتكئ على الجوانب الخُلقيّة كانت غضبي من عمر لمّا بلغها من هذا الشعر، فجاء نقدها متأثِّرًا بمو قفها من عمر ومن تغزَّله برملة. وإذا كانت الثريّا قد نقدت عمر بالكذب في شعره، وبالوقاحة والتصنّع فيه، وبمخادعته للنساء بشعره، فإنّ هذا يدلّنا على أن النقد الأخلاقيّ كان يمثّل اتّجاهًا مهيًّا من اتِّجاهات النقد النسائيّ العربيّ القديم، وإن كانت هذه المقاييس النقديّة الأخلاقيّة النابعة من الثريّا في موقفها النقديّ هذا من عمر خالطتها الغيرة من رملة، والأهواء الذاتيّة المتمثّلة في رغبة الناقدة في الكشف عن كذب الشاعر، وزيفه، وتملَّقه للأنثي، وحرصه على الإيقاع بها، ولتقول أن شعر عمر هذا في رملة ليس فيه من الجمال ما يمكن أن يظهر عليه بعد أن أحاله -بما فيه من زيف وخداع- إلى شراك قاتلة ينصبها

للمخدوعات فيه، وهي إنها تريد أن تحطّ من شعره، وتُذهب

ما يُظنّ فيه من جمال بسبب تجاوزه للقيم الأخلاقيّة، لتحطّ من وصفه لجمال رملة منافستها في حبه لها، جاعلة من القيم الأخلاقيّة مقياسًا نقديًّا ذا قيمة فنيّة وحكميّة للشعر.

ونقدت ليلى بنت الحارث البكريّة شعر عمر بن أبي ربيعة نقدًا أخلاقيًّا نابعًا من الدين الإسلاميّ وانتهاكه لأوامره ونواهيه، فقد رأت في شعر عمر دعوة إلى تجاوز حدود الله في علاقة الرجل بالمرأة الأجنبيّة عنه عندما خاطبها بقوله (ابن أبي ربيعة، ١٦١٤، ص ٣٩٩):

أَلاَ يَا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ نفسى نَوَالُكِ إِن بَخِلْتِ فَنَوِّلِينَا وقد حضر الرَّحِيلُ وحان منَّا فِرَاقُكِ فانْظُرِي ما تأمُّرِينَا فقالت له: "آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ص١٥٧، ٢٥٦)، وفي رواية أنها قالت له: "حتى متى لا تزال سادرًا في حرم الله، تشبّب بالنساء وتشيد بذكرهنّ، أمّا تخاف الله؟!"، وكأمّها رأت في شعره هذا مخالفةً لتقوى الله وانحرافًا عن طاعته، وأنَّ قوله هذا فيه من الفحش والمنكر ما يقتضي منها نقده نقدًا تنصحه فيه بالبعد عن كل ما يخالف الدين والخلق الفاضل، لقد آلم هذه الناقدة العربيّة المتأثّرة بقيم الدين والفضيلة أن تسمع من عمر مثل هذا القول الخارج عن قيم الدين والأخلاق التي كانت تألفها وتتحلَّى بها؛ بل وحطَّت من جودة شعره بهذا المقياس النقديّ الأخلاقيّ، وما يقتضيه من حكم على القول الشعريّ ارتضته الناقدة حكمًا فنيًّا يحاكم به الشعر؛ لذلك واجهت شعريّة عمر بهذا النقد الداعي إلى الأهداف الفاضلة وطاعة الله والخوف منه، وتقواه، والبعد عن ما يغضبه جل وعلا من عبده، وبأن لا يقول الشاعر إلا في الخير، ولا ينطق إلا بالحقّ، ولا يفعل من القول والعمل إلا ما يرضي عنه الله، وكأنَّ الناقدة ترى أن لا خير ولا جودة في شعر يخالف الخلق والدين، وأن فحش المعنى ومخالفته لقيم الدين يحطّان من جماله الفنيّ وميل النفوس له.

ونقدت ميًّ ذا الرمّة نقدًا نابعًا من الحسّ الدينيّ، وما يدعو له الدين من قيم فاضلة، وأخلاق صادقة وحسنة، في قوله (ذو الرمّة، ٢٠١٥، ص ٨٣٣):

وقد حَلَفْتْ بالله مَيّةُ مَا الّذي أَقُولُ لَمّا إِلاّ الّذي أَنَا كَاذِبُه إِذًا فَرَمَانِي اللهُ مِنْ حَيثُ لا أَرَى وَلا زَالَ فِي دَارِي عَدُوُّ أُحَارِبُه فقالت له: "خف عواقب الله يا غيلان" (القارئ، د. ت، خاص ١٨٦-١٨٨)، فجعلت من قوله هذا ما يعادل انتهاكه لحدود الله ولقيم الصدق؛ ولذلك ذكّرته - أمام هذا القول الشعريّ - وحذّرته من عواقب الله، وخشيت عليه من غضبه الشعريّ - وحذّرته من عواقب الله، وخشيت عليه من غضبه تعالى، وهذا يدلّ على أنها تحبّه، ولا تودّ له ما يسبّب له العنت من الحياة، وممّا يدلّ على حبّها له، وإشفاقها عليه من تجاوز ما هو دينيّ وأخلاقيّ في شعره؛ أنّها نادته باسمه "غيلان" وجهرت به وهي تواجهه بنقدها لشعره.

وتصف الخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة شعر ذي الرمّة فيها وصفًا يحمل أحكامًا نقديَّة ذات بُعد أخلاقيّ، فقد وصفت شعره بالرقَّة والعذوبة ووصفته في شعره بالعفّة والإحسان فيه، وكانت تقول مفتخرة: أنا منسك من مناسك الحجّ، تشير لقوله فيها (ذو الرمّة، ١٤٠٢ه، ص١٩١٣):

قَامُ الحَجّ أَن تقفَ المطايا على خرقاء واضعةِ اللثامِ وكانت الخرقاء تحلّ فلجا، ويمرّ بها الحجّاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم، فقالت في هذا الشعر فيها: "رحم الله ذا الرمّة فقد كان رقيق العشرة، عذب المنطق، حسن الوصف، عفيف الطرف" (الأغاني، د.ت، ج١٨ ص٣٧)، إنَّ هذه المقولات النقديّة، التي وصفت بها الناقدة الخرقاء شعر ذي الرمّة وقوله فيها لصادرة من مكامن نقديّة تجوِّد الشعر الأخلاقيّ وتحسنه وتحكم له بالجال؛ لما يحمل من أبعاد خُلقيّة قائمة على ما فيه من حسن الخلق والعفّة وحلاوة المنطق.

كما استحسنت الخرقاء شعر القحيف العقيليّ فيها الذي يقول فيه (الأغاني، د.ت، ج١٨ ص٣٧):

وخرقاءُ لا تزدادُ إلا ملاحةً ولوعُمّرتْ تعمير نوحٍ وجلّتِ فقد حسّنت الخرقاء هذا الشعر للقحيف العقيليّ فيها؛ لما يحمل من وصف لها بالملاحة، وهي صفة تفيض بالجال

الأخلاقيّ في الشخص المتلبّس بها؛ ولذلك فإنّ استحسانها لشعر القحيف العقيليّ هذا فيها نابع من البعد الأخلاقيّ الذي يحمله ويفيض به من خلال لفظة الملاحة التي وصفها بها، وأكبر الظنّ أنّ هذا النقد الأخلاقيّ من الخرقاء لكلً من ذي الرمّة والقحيف العقيليّ متأثّر بحضور المقدّس في وصف الشاعرين لها، وهما: "منسك الحبّ، ونبوة نوح _عليه السلام_"، فقد كان للوصف الذي امتدحته من الشاعرين في حقّها نصيب من ذينك التشبيهين المقدّسين، فاقتضى أن يكون نقد المرأة لشعر الرجل هنا بالحكم له بالإحسان والعفّة.

وممّا ينبغي الإشارة إليه في حكمها النقديّ لقول الشاعر القحيف العقيليّ فيها هو أن الناقدة قد غضّت الطرف في حكمها عن إشارة الشاعر إلى عمرها الطاعن في السنّ لأنه قد شهد لها مع كبر سنّها وتقدّمها في العمر ببقاء مظاهر الملاحة بادية عليها، والمرأة في الغالب لا تحبّد أن يشار إلى تقدّمها في العمر أو إلى كبر سنها، لكن الشاعر استطاع تلافي وصفه لها بالتقدّم في العمر؛ بأن أثبت لها بقاء الملاحة على قساتها، وبشرف تشبيه طول عمرها بعمر النبي نوح عليه السلام.

وتحضر المفردات الخلقية في نقد عائشة بنت طلحة للشاعر النميري، وتشكّل تلك المفردات النقديّة ذات المضامين الأخلاقيّة أحكامها النقديّة على شعره الواصف لزينب أخت الحجّاج وصويحباتها، حيث حمّل نقدها له قيم الصدق والعفّة والتديّن؛ لقوله فيها:

نزلنَ بفَخِّ ثم رُحْنَ عشيّةً يُلبَين للرحمن مُعْتَمِرات يُخبِّن أطراف الأكْفِّ من التَّقَى ويخرجن شَطْرُ الليل مُعتجرات ولمّارأت رَكْبَ النميريّ أعرضتْ وكُنَّ مِن أَنْ يَلْقَيْنَه حَذِرات تضوّع مِسكًا بطنُ نَعْبَانَ إذ مَشَتْ به زينب في نِسوة خَفِرات

فقالت عائشة مصدرة حكمها النقديّ المثقل بالقيم الخلقيّة: "والله ما قلت إلا جميلا، ولا وصفت إلا كرمًا وطيبا، وتقًى ودينا" (الأغاني، د.ت، ج١١ ص ص١٩٠-١٩١)، فحكمت له -كها تقول فاطمة صغير - بالبراعة والإجادة؛ لأنّه قال كلامًا جميلا يكشف عن تديّن أخت الحجّاج

وتقواها، مراعيًا فيه حرمة وقداسة المكان الذي تواجدت فيه (صغير، ٢٠١٤م، ص ٣٨٨)، فقد لاحظت عائشة بنت طلحة في نقدها هذا أحقية زينب وصويجباتها بوصف النميريّ لهنّ بهذا الفضل والإحسان المستندين على الدين والأخلاق، لكن السؤال هنا الذي يحضر أمام هذا المنحى النقديّ الأخلاقي، القائم على تحلّي الموصوفات بالتديّن هو: هل يقتضي حكم الناقدة للشاعر بهذا الحكم جودة شعره هذا أم بعدم جودته؟

وبعيدًا عن صلاح المضمون النقديّ وأخلاقيّته، فإن هذا النقد من الناقدة عائشة بنت طلحة للنميريّ لم يتناول الحكم للشاعر بالجودة أو الرداءة في وصفه، فقد وقف عند ملاحظة صدقه في إبراز تقوى الممدوحات وتديّنهنّ؛ ولذلك فإنّه لا يرقى إلى أن يتّصف بالغزل فيهنّ؛ لذا عدلت الناقدة عن محاكمة الشعر محاكمة فنيّة، تتناول قيمه الجماليّة والعاطفيّة إلى الشهادة لصدق مضامينه، وتقريره لقيم الدين والأخلاق التي تتلبّس الممدوحات، ومن ثمّ فإن الناقدة عائشة بنت طلحة قد تحاشت في حكمها أن تتدخّل في الحكم الفنيّ الواصف لمقدار ما تحمله الأبيات من عاطفة للشاعر تجاه زينب وصويحباتها، ولا ما يحمله من حبِّ وعشق لزينب، ولقد أدرك الشاعر النميريّ أن عائشة قد غمطته - في نقدها له - جمال غزله بزينب، وتغزّله فيها تغزّل المحبّ العاشق، عندما وقفت في مقولاتها النقديّة عند أحكامها الدينيّة والأخلاقيّة، التي تقرّر التديّن وحسن الخلق أكثر من كونها تقيس مقدار الحبّ والعشق والعاطفة التي عبر عنها الشاعر تجاه محبوبته، ويدلّ على ما ذهبنا إليه ما رواه الأصبهانيّ في أغانيه ضمن روايته لنقد عائشة بنت طلحة هذا بأن النميريّ تعرّض لعائشة في الجمعة التالية لهذه الحادثة النقديّة التي حكمت فيها على شعره في زينب، فعرض عليها أن ينشدها من قول الحارث بن خالد المخزوميّ فيها هي، فقالت: إنّه أراد أن يستقدّ أي (يقتصّ) منها لابنة عمّه تقصد نقدها لشعره في زينب؛ لأنّها وقفت في وصفها له عند الجوانب الدينيّة الأخلاقيّة ولم

تتجاوزه إلى وصف جماليّات غزله، فوصفت شعره بها يحكم عليه بأحكام نقديّة تصفه بالدينيّ الأخلاقيّ، وليس بالغزل العاطفيّ العاشق الولهان، ولأنّ النميريّ أنشدها شعر خالد فيها – بعد أن تزوّجت رجلًا غيره ورحلت معه – فذكر خالد أنّها لم تكن من نصيبه ووصف جمالها وحسنها ونسبها دون أن يصوّر ما كان بينهها من حبِّ وعشق ووله، حيث قال فيها: طعن الأميرُ بأحسنِ الحَلْقِ وغَدَوْا بُلبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْق وتَنُوْءُ تُثْقِلُها عَجيزتُها بَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ ما صَبَّحتْ زوجًا بطلعتها إلاّ غَدَا بكواكب الطَّلْقِ فَرُشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبقَ الرهانِ بجانب الحُقِّ بيضاءُ من تيم كَلِفْتُ بها هذا الجنون وليس بالعشق فقالت له: "والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنّي إذا صبحت فقالت له: "والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنّي إذا صبحت نوجًا بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأنّي غدوت مع أمير تروّجني إلى الشرق، ولا تعد لإتياننا يا نميريّ" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١١ ص١٩١).

لقد أدركت الناقدة عائشة بنت طلحة أن النميريّ قد جعل من وصف الحارث المخزوميّ لها معادلًا لوصفه لزينب في حكمها النقديّ، ولذلك لم تتجاوز عائشة - وهي الناقدة البصيرة - في حكمها النقديّ لشعر الحارث فيها حكمها النقديّ لشعر الحارث فيها حكمها النقديّ لشعر الخارث فيها حكمها النقديّ لشعر الخارث فيها حكمها وستعرضت وصف خالد الخلقيّ الصادق لها ولعلاقتها بزوجها، ولم تتعرّض لقدرة الشاعر الحارث على التعبير عن حبّه لها وعشقه وولهه بها في شعره.

ونقدت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان شعر عمر بن أبي ربيعة بـ "الفاضح" و"فاضح الحرائر" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ١٤٤، ١٩٠) منكرة عليه الحديث عن مغامراته النسائيّة المجاهر فيها بالمعصية، فقد وجّهت هذا الحكم النقديّ إلى قوله:

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي الأُنْبِّهنَ الحيَّ إن لم تَخُوُج وقوله:

وَنَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي على الرمل من جَبَّانةٍ لم تَوَسَّدِ

وقد يمكننا توجيه نقد فاطمة لعمر بأنه ليس إنكارًا منها لمغامراته النسائيّة تلك، ولا لمجاهرته فيها بالمعاصي، بل إن فاطمة تنكر على عمر ضعف حبّه لمعشوقاته، وعدم حفظه لودّهن له، عندما يشهّر بهنّ في مغامراته تلك معهنّ، ولا يحفظ لهنّ أسرارهنّ معه في تلك المغامرات العشقيّة، فيهتك بها أخلاقهنّ، ويذيع الفاحشة فيهنّ في الوقت الذي كان يجب عليه الستر عليهنّ، وقد منحنه الحبُّ والودُّ والعشق، وخصصنه بتلك العلاقات العاطفيّة الحميميّة، وبذلك يتوجُّه نقد فاطمة لشعر عمر لمقدار إخلاص عمر في حبّه وعشقه لمحبوباته، اللاتي منحنه ثقتهنّ وحبهنّ، وليس للإنكار على أخلاقه تجاههنّ، ولا أخلاقهنّ تجاهه، ومما يجعلني أميل إلى هذا النحو ما رواه أبو الفرج الأصبهانيّ من أنَّ الناقدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بعد أن وصفته بفاضح الحرائر-وكان قد تعرّض لها ليحدّثها وهي قافلة من حجّها - كانت قد قالت له: "لو لا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبّتي لمناجاتك لأقصيتك، هاتِ الآن وكلّمني وحدّثني وأنشدني" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ١٩٢) وأنَّ قولها لأقصيتك إنها هو بسبب عدم ستره على مغامراته مع محبوباته، وليس إنكارًا منها أو نقدًا منها لتلك المغامرات بسوء الخلق.

ونقدت امرأة اسمها كلابة (مولاة لثقيف كانت عند عبدالله بن القاسم الأمويّ العبليّ) شعر الشاعر العرجيّ نقدًا أخلاقيًّا منكرةً عليه ذكره للنساء، وتغزّله بهنّ غزلًا فيه من الجرأة ما تراه يحطّ من قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع، فوصفت شعره بأنّه لا خير فيه لجرأته على نساء قريش (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص٣٨٧-٣٨٩).

والنعت بالخيريّة أو سلبها عن الشيء قيمة أخلاقيّة، لكن الناظر في عبارة كلابة النقديّة المقيّدة بالجرأة على نساء قريش توحي بتوجيه الناقدة لرؤيتها النقديّة ذات البعد الأخلاقيّ إلى شعر العرجيّ الواصف لنساء قريش دون غيرهنّ من الحرائر، وكأنّ الناقدة عظم عليها جرأة الشاعر العرجيّ على نساء قريش بغزله فيهنّ؛ لما ترى فيه من حطّ لتلك الطبقة قريش بغزله فيهنّ؛ لما ترى فيه من حطّ لتلك الطبقة

الاجتهاعيّة التي تبوّأت مكانة محترمة في المجتمع والدين، وانتهاك لحرماتهنّ وقيمتهنّ ومكانتهنّ، فالناقدة تصدر من خلق نابع ممّا تؤمن به في العرف والدين.

وفي رواية أنّها نقدته بقولها: "لشدّ ما اجترأ العرجيّ على نساء قريش حتى يذكرهن في شعره، لعمري ما لقي أحد فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص ١٤٩)، ووصفت شعر العرجيّ كذلك بالشرّ يلصق بالنساء (انظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج١، ص ١٤٩).

إن المعجم النقديّ وما يشي به من خطاب نقديّ أخلاقيّ لواضح وجليّ كها نلحظه في مقولات كلابة النقديّة، بل لقد طرحت في شيء من تلك المقولات النقديّة الحماس والتهديد للشاعر بتسويدها لوجهه إن هي التقت به، إنّ الناقدة هنا لم تحاكم عمر كشاعر يتفنّن في وصف وتصوير ما يراه، بل حاكمته من خلال مقدار اتّفاق ألفاظ شعره ومضامينه مع قيم وأخلاق المجتمع والدين.

ونبّهت جارية لعمر بن أبي ربيعة تسمّى البغوم عمر إلى كذبه في شعره، وتجاوزه للوقائع الحقيقيّة، بقولها له: "ما رأيت أكذب منك يا عمر، تزعم أنك بالجزل، وأنت في جنبذ محمّد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١ ص١٦٦)، وكان عمر قد وصف سهرة ليليّة زعم أنّه قضاها مع بعض النسوة والجواري، في الجزل وهو موضع قرب مكة، وكانت البغوم حاضرة لتلك السهرة، ولم تكن "بالجزل" كما يقول الشاعر بل في "جنبذ" وهو بناء كالقبة لمحمّد بن مصعب كما تقول البغوم، ولذلك رأت في قوله هذا كذبًا ومينًا وشطًا في وصفه لمكان تلك الليلة وجمالها بقوله (الأصبهانيّ، وشططًا في وصفه لمكان تلك الليلة وجمالها بقوله (الأصبهانيّ، د.ت، ج١، ص١٦٦):

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا أخضلتْ رَيْطتي عليّ السماءُ فلقد أنكرت عليه البغوم جموح خياله، وادّعاءه أنّه اجتمع بهنّ في موضع الجزل، وأن الليلة كانت ماطرة حتى أصابه وأصابهنّ بلل السماء، فردّ على إنكارها عليه وصفه ذلك

وتكذيبها له بقوله: "هكذا يستقيم هذا الشأن" (الأصبهانيّ، د.ت، ج١، ص ١٦٦)، معترفًا بكذبه في شعره الواصف لتلك الليلة، وكأنّه يرى أن من طبيعة الشعر المبالغة، والإتاحة للخيال أن يشطح ويجمح عن الحقيقة؛ ليبلغ بالشعر جماله ونشوته وتأثيره في السامع له، ولو تجاوز به الحق والصدق، لكن الناقدة البغوم حاكمت شعر عمر بمنطق القيم الأخلاقيّة القائمة على الصدق وتحرّي الحقيقة في القول، وكأمّها ترى أن الكذب وخالفة الشعر للحقيقة تحطّ من قيمته وتأثيره الفنيّ، وأكبر الظنّ أن وراء هذا النقد القائم على المقياس الأخلاقيّ غيرة من الناقدة "البغوم" - وهي إحدى معشوقات عمر - على عمر، وعتابًا له أن جمع في غزلها بينها وبين جارية أخرى اسمها (أسهاء) في القول الشعريّ الذي وبين جارية أخرى اسمها (أسهاء) في القول الشعريّ الذي نقدته فيه (الأصبهانيّ، د.ت، ج١، ص ١٦٦):

حَبَّذَا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ وعِيصٌ يكنُّنا وخَلاَءُ

ولذلك أردفت نقدها له بالكذب فيها ادّعاه من صفات تلك الليلة، باعتبار أن الكذب وادّعاء غير الحقيقة في الشعر يحطّ من شأنه فنيّا، ويقلّل من قبول المتلقّين له، وأنّ على الشاعر حتى ينال رضا السامعين أن يقول في شعره ما يوافق الصدق والحقّ، ويبعده عن الادّعاء والزعم والكذب، وتزوير الواقع وتزييفه، لكن عمر ردّ عليها بأن هذا هو طريق الشعر وسبيله يقصد المبالغة في القول حتى يكون شعرا إذ يستشرف ما يتطلّع له الشاعر من التجويد والجمال.

ونقدت سُكينة بنت الحسين _رضي الله عنه_ أنانيّة الشاعر كثيّر عزّة عندما وهب محبوبته (سعدى) الغيث، وماءه، ونباته، وقصر خيره ونفعه عليها دون سواها من عباد الله، ورأت في ذلك إيثارًا لها دون غيرها بعطاء الله الذي يعمّ به عباده، فالخير من شأنه أن يعمّم به الله عباده، فأنكرت عليه قدله:

أشاقَك برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ تضمّنَهُ فرشُ الجبا فالمساربُ تألّقَ واحمومى وخيّمَ بالربى أصمُّ الذرى ذو هيدبٍ متراكبُ إذا زعزعتهُ الريحُ أرزمَ جانبٌ بلا خلفٍ منه وأومضَ جانبُ وهبتُ لسُعدى ماءَه ونباتَه كما كلَّ ذى ودًّ لمن ودَّ واهبُ

لتروى به سُعدى ويروى صديقُها ويغدقَ أعدادٌ لها ومشاربُ فقالت له سُكينة مُنكرة عليه هذا التخصيص المخالف للخلق الفاضل الذي يهب الخير للجميع، والمؤثر غيره في المنافع: "أتهب غيثًا عامًّا جعلك الله والناس فيه سواء؟! فقال: يا بنت رسول الله ﷺ وصفت غيثًا فأحسنته وأمطرته وأنبته، وأكملته، ثم وهبته، فقالت: فهلا وهبت لها دنانير ودراهم؟" (انظر: المرزبانيّ، ١٩٩٥م، ص١٩٥٠) وابن قتيبة،

لقد كان نقد سُكينة لكثيّر نقدًا أخلاقيًّا نابعًا من رؤيتها أن الشاعر تلبّس في قوله هذا خلق الأنانيّة، والبعد عن حب الخير للآخرين، وإيثاره لمحبوبته دون سواها من عباد الله، وهو نقد يقوم على أساس من أن الشاعر قد ضيّق واسعا، وآثر محبوبته برزق الله الذي يسعها ويسع سواها من عباده، وفي هذا ما فيه من الأنانيّة والاستئثار بالتصرّف في حقِّ عامّ، وهذا لا ينسجم والأخلاق التي أرساها الدين الإسلاميّ وحثُّ عليها، القائمة على إشراك الغير في الخير، بل وإيثارهم على النفس كما في قوله تعالى: چئى ئدئى ئى ئدى ي چ (القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية: ٩)، لكن الناظر في قول كثير: "وصفت غيثًا فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكملته، ثم وهبته" (المرزبانيّ، ١٩٩٥، ص١٨٨؛ وابن قتيبة، ١٩٥٨م، ص ٢٢٠) يدلّ على أن الشاعر يفرّق بين ما هو حقيقة وهو الغيث الآتي من الله، وما هو خيال وهو ما يتصوّره الشاعر لمحبوبته من غيث في خياله ويتمنّاه ليهبه لمحبوبته، وأن الشاعر قد وهب محبوبته ما يمتلك من صورة خياليّة بناها هو للغيث، وصنعها وتمنّاها لمحبوبته، وأنّه لم يتجاوزها لخلق الله وعطائه، ومن ثمّ لم يتجاوز الخلق الفاضل في هبته، وكثيّر يتَّسم في غزله بمجموعة من القيم الأخلاقيَّة التي أحاطها به، كما يشير إلى هذا إحسان عباس (انظر: الخزاعيّ، ٢٠١٢م، ص ٦٥؛ وعبّاس، ٢٠٠١، ج٣ ص ١٢٠٥)، ولذلك نرى الناقدة القديرة سُكينة بنت الحسين قد واجهت غزل كثيّر الأخلاقيّ بنقدها الأخلاقيّ كذلك.

أما الناقدة زُبيدة بنت جعفر فقد جمعت في نقدها لأحد الشعراء بين الأخلاق والحلم، والاعتذار عن قصور الشاعر في شعره، وإعانتها له على تحسين شعره وتجويده، وقد عبّرت في نقدها للشعر عن رؤيتها النقديّة الساعية فيها إلى إتاحة الفرصة للشاعر الضعيف أن يجوّد شعره ويحسّنه بها التمست للشاعر من العذر، وبيّنت بمقولاتها النقديّة له طرائق إصلاح شعره، فقد روي أن أحد الشعراء جاء إليها مادحًا لها بقوله فيها:

أزُبيدة ابنة جعفر طوبى لسائِلِك المثاب تُعطين من رجليكِ ما تعطى الأكفّ من الرغاب فهم به الحشم، ووثبوا يريدون أن يضربوه، فقالت لهم زبيدة: لا تفعلوا - ومنعتهم من ذلك - فإنّه أراد الخير فأخطأ، ومن أراد الخير فأخطأ أحبّ إلينا ممن أراد الشر فأصاب، وإنها أراد أن يقول على قول الشاعر:

شهالك أجود من يمين غيرك وقفاك أحسن من وجه غيرك فظنَّ أنه إذا ذكر الرجلين أنه أبلغ في المدح، وأقرّت له بجائزة، وفي رواية أنها قالت: "أعطوه ما أمّل وعرّفوه ما جهل" (المرزبانيّ، ١٩٩٥، ص ٤١٥؛ والأفطس، ٢٠٠٥م، ص ١١٥٠ والخطس، ١٩٥٥، وقد علّق أبو نوّاس الشاعر على نقد زُبيدة هذا بحسن وخلق نقدها لشاعرها وبحلمها وصبرها وقوّة تجلّدها على وصفه لها فقال: "لقد ورد عليها شيء لو ورد على العبّاس بن عبد المطّلب ما كان عنده من الحلم والاحتهال وتسهيل الأمر أكثر ممّا كان عندها" (الأفطس، ٢٠٠٥م، ص ١١٥-١١٦).

لقد جمعت زُبيدة في نقدها بين النقد الأخلاقيّ، والحلم في التعامل مع ضعف الشاعر، وسوء مدحه لها، كما أنها قد حاولت إصلاح شعره وسعت إلى أن تدلّه على كيفيّة تحسين شعره وتجويده عندما اعتذرت له بأنه أراد تقليد من سبقه من الشعراء في أسلوب المدح فأخطأ ولم يصب، وذلك بقولها لحشمها: عرّفوه ما جهل.

ومهما يكن من شأن نقد المرأة العربية القديم في اتجاهه الأخلاقيّ؛ فإننا نلحظ أنّ هذا النقد كان نابعًا من طبيعة المرأة

في علاقتها بالرجل وموقفها منه، مراعية طبيعة علاقتها بمجتمعها وتنشئتها النشأة التي نشأت عليها في مجتمعها العربيّ والإسلاميّ؛ مما كان له انعكاسه على نقدها للشعر، وخصوصًا منه ذلك الشعر الواصف لها، وقد كان نقدها الأخلاقيّ نقدًا موجّهًا للمضمون الشعريّ في أغلبه وليس موجّهًا لشكله الفنيّ، وأنّ المحرّك له هي مضامين الشعر وليست أشكاله الفنيّة، فهو نقد يلحظ مقدار اتّفاق المضمون الشعريّ وانسجامه مع القيم الخلقيّة والدينيّة أو اختلافه معها، وهو نقد في تقديري لا يحطّ من جمال التعبير الشعريّ ودهشته بقدر ما يعبّر عن طبيعة الذات الأنثويّة المنتجة له التي تودّه ملتحًا بالعرف المجتمعيّ والقيم الأخلاقيّة التي يحترمها الذوق المجتمعيّ ويجلّها فيها له علاقة بالمرأة، لكنّ الشاعر القويّ - في تقدير الناقدة العربيّة - هو من يستطيع الجمع بين الحقّ والخلق الفاضل ودهشة الشعر وجماله وتأثيره في النفوس، وعندئذِ تظهر ميزة هذا الاتّجاه النقديّ الذي أنتجته الناقدة العربيّة اتّجاه شعر الشاعر وقوة شاعريّته على من سواه ممّن لا يستطيع حمل جمال شعره على قوالب لغته الشعريّة الشارقة بالقيم الأخلاقيّة الفاضلة، والمثقلة بقيم الخير والحقّ والجمال.

الخاتمة

إنَّ الناظر في المشكلة التي نهض البحث من أجلها، وفي الفرضيّة التي تصوّرها الباحث لمقاربة تلك المشكلة لَيدركُ أن البحث اتّجه – من خلال نصوصه ومدوّناته التي تضمّنت النقد الأخلاقيّ النسائيّ الذي توجّهت به المرأة العربيّة للشعر العربيّ القديم – لتوضيح تلك المشكلة البحثيّة ومقاربة فرضيّتها بها نجم عنه من نتائج ومرئيّات من أهمها:

١- أن النقد الأخلاقي قد كان اتّجاها أصيلًا من اتّجاهات نقد المرأة العربيّة للشعر العربيّ في القرون الثلاثة الأولى من عمر النقد العربيّ القديم.

- ٢- أن الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ في نقد المرأة العربيّة جاء معبرًا عن طبيعة المرأة العربيّة التربويّة الأخلاقيّة سواء في حياتها العربيّة الجاهليّة أو في حياتها بعد الإسلام.
- ٣- أن النقد النسائيّ الخلقيّ العربيّ للشعر قد كان نابعًا
 من طبيعتها الأنوثيّة المتّصفة بالحياء والحشمة والتمنّع
 في حضرة الرجل وعلاقتها معه.
- ٤- أن الاتجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ للشعر العربيّ القديم قد لحقه التطوّر من بداياته في العصر الجاهليّ حتى ازدهاره بعد الإسلام، الذي عزّز من أخلاقيّات المرأة التي كانت عليها في الجاهليّة، وجعلها أكثر قربًا والتزامًا بالفاضل والجميل من الأخلاق الإسلاميّة، بمعنى أن النقد الأخلاقيّ النسائيّ للشعر العربيّ قد تأثّر بأوامر الإسلام ونواهيه، وتأكيده للجميل والفاضل من الأخلاق العربيّة الأصيلة.
- ٥- أن الاتجاه النقديّ الخلقيّ النسائيّ للشعر العربيّ كان نقدًا يقف عند مضامين الشعر ومعانيه ويحاكمها، أكثر من وقوفه عند الشكل الشعريّ والاهتهام به، بمعنى أنه نقد أقرب للنقد المضمونيّ منه إلى نقد بنية الشعر و أشكاله الفنية.
- ٢- أن نقد المرأة الأخلاقي للشعر القديم قد قام في أغلبه على قيمتي الصدق والكذب في علاقة الشعراء بالمرأة ووصفهم لها ووصف علاقتهم بها، وقام على تصوير الشعراء الفحش بالمرأة وانتهاكهم لعوراتها وفضح أسرار علاقاتها بهم، ممّا يخالف قيم الدين وعادات وتقاليد المجتمع العربي الإسلامي.
- ٧- أن الاتجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ كان يحطّ من
 مكانة الشاعر الفنيّة وقدراته في القول الشعريّ بقدر
 ما كان يأخذ عليه من تجاوزات دينيّة أو أخلاقيّة.
- ٨- أن الاتجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ كان يتّجه نحو
 وصف علاقات الشاعر بالمرأة ووصف صورتها في

- شعره، دون وصف الشاعر لجمال المرأة والصفات التي تحبّب الرجل فيها، وذلك لأن منطلق هذا النقد هو القيم الدينيّة والأعراف الاجتماعيّة دون جماليات الشعر ومقاييسه الفنيّة.
- 9-أن الذوات النسائية الناقدة للشعراء نقدًا أخلاقيًا كنّ يصدرن عن مفهوم للشعر مؤدّاه أن جمال الشعر نابع من انسجامه مع تعاليم الدين والأخلاق الفاضلة وعادات المجتمع وتقاليده.
- ١٠ سيطرة الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ على نقد المرأة للشعر ينسجم مع طبيعتها الأنوثيّة والمفاهيم الحاكمة لعلاقتها بالرجل والمجتمع.
- ١١ أن مجهودات المرأة العربيّة الناقدة للشعر العربيّ كان لها أثرها في بروز هذا الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ في النقد العربيّ القديم.

المراجع

القرآن الكريم.

- إسماعيل (١٩٧٤م)، عزّ الدين (ت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)، الأسس الجماليّة في النقد العربيّ، ط٣، دار الفكر العربيّ.
- الأصبهانيّ (د.ت)، عليّ بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ (مصوّرة عن دار الكتب).
- الأفطس (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، محمد بن هبة الله الحسينيّ (ت٥٢٠هـ- ١١٢٦م)، المجموع اللفيف، تحقيق: يحيى الجبوريّ، ط١، دار الغرب الإسلاميّ.
- أمين (٢٠١٢م)، أحمد (ت١٣٧٣هـ ١٩٥٤م)، النقد الأدبيّ، د. ط، القاهرة، مؤسسة هنداويّ للتعليم والثقافة.
- الجرجانيّ (د.ت)، علي بن عبد العزيز (ت٣٩٢هـ- الجرجانيّ (م.ت)، الوساطة بين المتنبيّ وخصومه، تحقيق:

- محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، د. ط، بيروت، دار القلم.
- ابن جعفر (د.ت)، قدامة، نقد الشعر (ت٣٣٧هـ- ٩٤٨م)، تحقيق: محمد عبد المنعم، خفاجي، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- الحارثيّ (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، محمد المريسيّ، الاتّجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ حتى نهاية القرن السابع الهجريّ، د. ط، مطبوعات نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ (الكتاب٤٤).
- الحصريّ (۱۹۷۲م)، إبراهيم بن عليّ (ت ٤٨٨هـ- ١٠٩٥م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح: زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، بيروت، دار الجبل.
- الخزاعيّ (۱۹۷۱م) كثيّر بن عبد الرحمن (ت ۱۰۵هـ-۷۲۳م) ديوانه، تحقيق: إحسان عبّاس، (د.ط) دار الثقافة، بيروت.
- ذو الرمّة (۱۹۸۲ه-۱۹۸۲م) غيلان بن عقبة (۱۱۷ه- ۷۳۵م)، ديوانه (شرح أبي نصر الباهليّ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، (د.ط) مؤسسة الإيمان.
- ابن أبي ربيعة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) عمر بن عبد الله (ت ٩٣هـ-٧١٢م)، ديوانه، تحقيق: فايز محمد، ط٢، دار الكتاب العربيّ، بروت.
- صغير (٢٠١٤م)، فاطمة، جهود المرأة العربيّة في النقد الأدبيّ القديم، مجلّة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٠).
- ابن طباطبا العلويّ (١٤٠٥هـ -١٩٨٥م)، محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ ٩٣٤م)، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز المانع، د. ط، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر.

- عبّاس (٢٠٠١م)، إحسان (ت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، محاورات في النقد والدراسات الأدبيّة، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ.
- العزب (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، محمد أحمد، قضايا نقد الشعر في التراث العربيّ، د. ط، د. م.
- العسكريّ (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، أبو هلال الحسن بن عبد ربّه (ت ١٩٥٥هـ ١٠٠٥م)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى بابي الحلبيّ، دار إحياء التراث العربيّ.
- القارئ (د.ت)، جعفر بن أحمد السراج (ت ٥٠٠هـ- العشّاق، د. ط، بیروت، دار صادر.
- ابن قتيبة (١٣٧٧هـ-١٩٨٥م)، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ- ٨٨٩م)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة، دار المعارف.
- القرطبيّ (د.ت)، محمد بن أحمد (ت ٢٧١هـ ١٢٧٣م)، الجامع لأحكام القرآن، د. ط، القاهرة، مطبعة دار الكتب.
- القيروانيّ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، الحسن بن رشيق (ت ٢٦٥هـ- ١٠٧١م)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- المرزبانيّ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، محمد بن عمران (ت ١٨٥هـ- ١٩٩٥م)، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة.